

## تاريخ البحث الأثري في الغرب الجزائري ومراحل تطوره بالجزائر منذ الاستعمار الفرنسي إلى استقلال الجزائر

الدكتورة: بوزياني فاطمة الزهراء

أستاذة محاضرة ب، قسم علم الآثار-جامعة تلمسان-

تخصص علم الآثار الوقائي

### الملخص:

نتناول في هذه المقال تاريخ الأبحاث الأثرية في الجزائر والتي سعت للبحث في تاريخ المنطقة، وقد جرت تلك الأعمال خلال فترة الاحتلال الفرنسي وبعد الاستقلال، ما أدى لكشف النقاب عن العديد من المخطافات الأثرية المنقولة والثابتة، التي ترجع إلى عصور تاريخية مختلفة، وقد ساهمت تلك الاكتشافات في تطور البحوث التاريخية والأثرية.

### Summary

This article tackles the history of the archeological excavations in Algeria which were meant to trace back the history of the region. These excavations took place during the French colonization and after Independence, and this led to unveil many archeological objects which belong to different historical periods. These discovered archeological remains have also contributed to the development of the historical and archeological researches.

### مقدمة:

مر البحث الأثري في الجزائر، بمرحلتين أساسيتين، بدأت المرحلة الأولى مع الاستعمار الفرنسي الذي سعى للكشف عن آثار الجزائر. وتتعلق المرحلة الثانية، بالبحوث الأثرية التي أجريت منذ استقلال الجزائر.

### 1. البدايات الأولى للبحث الأثري في الجزائر:

لقد كانت البدايات الأولى للبحث الأثري في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي، ولم يكن هدفه المستعمر الكشف عن آثار وتراث الجزائر فقط، بل كانت غايتهم البحث عن مسالك الطرق من الجزائر العاصمة نحو الصحراء، لذلك منذ احتلالهم للجزائر، قاموا

بعده بعثات استكشافية (بمساعدة أدلاء جزائريين)، بغض النظر عن فشلهم أو نجاحهم، تظاهروا بالبحث الأثري معظم الوقت. مع ذلك فقد تركوا لنا زخما معرفيا مهما حول المدن الجزائرية<sup>(1)</sup>.

وهناك العديد من الباحثين الفرنسيين وعلى رأسهم الضباط العسكريون الذين لجؤوا في العديد من الحفائر التي أجروها، إلى تدمير الطبقات الإستراتغرافية التي تعود إلى العصور الإسلامية. وكان هدفهم الوصول إلى البقايا الرومانية فقط حيث يتوقف بحثهم عندها. إن هذه السياسة وليدة فكر استعماري يهدف إلى قطع صلات المجتمع الجزائري بهويته الوطنية وربطه بهوية أجدادهم الرومان<sup>(2)</sup>.

تمت مهمة الكشف عن الآثار من خلال الجرد المنتظم والاستعانة بضباط جيش مختصين في المسح الطوبوغرافي، فدونوا كل ما وجدوه من آثار أثناء قيامهم بأعمال المسح<sup>(\*)</sup> التي شملت الجزائر، فشكلت تلك المسوحات رصيда وثائقيا مرجعيا بالنسبة للباحثين الآثاريين<sup>(3)</sup>.

ظل التنقيب الأثري خلال تلك الفترة منحصرا على وظيفة الاكتساب السريع من خلال جمع اللقى بشكل عشوائي من المواقع القديمة، من أجل بيعها على امتداد سنوات كثيرة، ودليل ذلك أن أغلب المكتشفات المستخرجة من الأسبار والحفريات، كانت بإشراف الضباط العسكريين الفرنسيين، إضافة إلى حملات اقتناء المجموعات الفنية منذ سنة 1833م (تاريخ فكرة إنشاء متحف أثري بالجزائر التي تجسدت في الواقع سنة 1941م)<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> محمد الطيب عقاب، "التراث المعماري في مدينة سدراتة التاريخية"، ع:11، حوليات المتحف الوطني للآثار، مطبعة سومر، الجزائر، 2002م، ص29.

<sup>(2)</sup> عبد القادر دحدوح، أثر العوامل البشرية في تلف المعالم والمواقع الأثرية، ع:07، مجلة الآثار، سنوية، الجزائر، 2008، ص130.

<sup>(\*)</sup> المسح: تمت أعمال المسح حسبهم بطريقة منهجية ونظامية (الرفع الأثري والوصف الدقيق والرسم والتصوير).

<sup>(3)</sup> محمد البشير شنيقي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات)، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص19.

<sup>(4)</sup> شرقي الرزقي، التنقيب الأثري بقلعة بني حماد استقصاء لحملاته الموسمية واستقراء لأبرز نتائجه العلمي، أعمال الملتقى الدولي حول: مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس 9-11 أفريل، الجزائر، 2007، ص114.

من بين أقدم الحفريات الأثرية التي أقيمت في منطقة الغرب الجزائري حفريات موقع تيغنيف الأثري<sup>(\*)</sup> المكتشف في 1870م، وشرع الحفر فيه سنة 1872م. وهي من المواقع التي استهوت أنظار الباحثين الفرنسيين، حيث تم جمع ما يقارب 130 كغ من عظام الحيوانات الضخمة، وتم إعلان ذلك بنتائج البحث الأثري في الموقع أثناء أشغال مؤتمر ما قبل التاريخ لسنة 1888م<sup>(1)</sup>.

وأجريت سلسلة من الحفريات الأثرية في نفس الموقع خلال سنة 1954م، وتكللت باكتشاف مهم، يحصل لأول مرة على مستوى شمال إفريقيا، حيث عثر على بقايا عظمية إنسانية تعود لحوالي سبعمئة ألف سنة قبل الميلاد، وبقايا ثلاثة فكوك سفلية وقطعة عظم جداري وعدد من الأضراس<sup>(2)</sup>.

وخلال سنتي 1955-1956م، تم تكليف أرمبورغ Arambourg بمواصلة الأبحاث بالموقع الأثري المذكور سابقا، وأول ما قام به تنظيف النصف الجنوبي من المحجر القديم، ووضع مصدات بالرمال للمياه المتدفقة نحو الموقع الأثري، كما استعمل مضخات للحد من ارتفاع منسوب المياه وعمل على توسيع رقعة المسح الأثري بالموقع<sup>(3)</sup>. ومن بين ما كشف عنه في سنة 1955م-1956م، خمسة رؤوس لخيول وحشية وخرس فيل وناب فرس نهر منقرض وبقايا أخرى<sup>(4)</sup>.

ومن بين المواقع الأثرية التي ساهمت في الكشف عن العديد من المكتشفات الأثرية، التي ترجع إلى ما قبل التاريخ في مدينة وهران وضواحيها، نذكر: مغارة سكان الكهوف<sup>(\*)</sup> التي تم تنقيتها سنة 1881م، من طرف الباحثين بالاري وتومازي<sup>(5)</sup>.

كما قام كل من الباحثين دُومُرق وبالاري بالتنقيب في مغارة ميدان التمرد، في الفترة الممتدة من سنة 1889 إلى غاية 1891م، وتم الكشف عن ثلاث طبقات جيولوجية. كما

(\*) موقع تيغنيف الأثري: يقع الموقع غرب قرية باليكاو، ويبعد عن ولاية معسكر بحوالي 20 كم

(1) محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات.....، مرجع سابق، ص 29.

(2) محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 57.

(3) ليونال بالو، الجزائر في ما قبل التاريخ، تر: محمد الصغير غانم، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 32-33.

(4) نفسه، ص 41، 45.

(\*) مغارة سكان الكهوف: يصل طول المغارة إلى 08م وارتفاعها قُدر بـ 03م، وتأتي على الطريق الرابط بين تلمسان ووهران.

(5) رشيد بورويبة، وهران فن وثقافة، وزارة الثقافة، الجزائر: د ت، ص 13.

قاما بالتنقيب في مغارة الثكنة من سنة 1892م إلى غاية 1893م، واستخرجت منها العديد من المكتشفات الأثرية كالعظام البشرية وبقايا الفقاريات والرخويات إلى جانب الأدوات العظمية والحجرية. وفي مغارة الغابة تم اكتشاف بقايا بشرية وحيوانية وأحجار منحوتة<sup>(1)</sup>.

وفي تيارت، اكتشف المعلم الأثري مدغاسن لجدار من طرف الرقيب الفرنسي هنري بارنار Henri-Bernard، برفقة الجنرال لامورسيار Lamoricière سنة 1842م، وتذكر فاطمة قدارية أن أول من تمكن من دراستها من الداخل هو "بوردي"، بتاريخ نوفمبر 1865م، وقدم عنه وصفا معماريا كاملا<sup>(2)</sup>.

يتواجد بتيارت موقع أثري يسمى كلمنطة<sup>(3)</sup>، والذي يعد من المواقع الأثرية الغنية بآثاره التي تعود إلى عصر ما قبل التاريخ، حيث قامت الباحثة م. ك، بدراسة البقايا العظمية الإنسانية المكتشفة بالموقع، وبينت خلال الدراسة التفصيلية التي قدمتها، أن سلالة إنسان مُسَمَّى العربي رغم تجانسها فإنها تنقسم إلى أربعة أقسام شكلت حلقات تطور هذه السلالة<sup>(4)</sup>.

يرجع الموقع الأثري "موقد بوقايد" بتيسمسيلت إلى العصر الحجري الحديث، وكان أول من اكتشف هذا الموقد "جون مورال Jean-Morel" سنة 1948م، حيث جمع 194 أداة حجرية. و يوجد موقع آخر يسمى بـ مكنم الجمل ببلدية أولاد بسام، لازال تاريخه مجهولا نظرا لقلّة المعطيات والأبحاث، ومع هذا يبقى شاهدا على فترة ما قبل التاريخ بالمدينة. ويضم هذا الموقع عدّة كهوف صخرية تحوي العديد من الأدوات الحجرية والقطع الفخارية<sup>(5)</sup>.

<sup>(1)</sup> نفسه، ص 18، 14.

<sup>(2)</sup> رابع لحسن، أضرحة الملوك النوميدي والمور، دار هومة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص 143، 141.

وينظر كذلك: رشيد محوز، مشروع ترميم المعلم الجنائزي بجبل العروى بتيارت، ماجستير: صيانة وترميم المباني الأثرية والمعالم التاريخية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2015-2016، ص 28.

<sup>(3)</sup> موقع كلمنطة: يقع الموقع الأثري في بلدية سيدي حسني بتيارت، بمحاذاة أحد الطرق الفرعية، ويبعد عن الطريق الوطني رقم 14 بعدة أمتار، وعن مقر الولاية بـ 27 كم، ويقع بين خط طول 1.527° - وخط عرض 35.457°.

<sup>(4)</sup> محمد سحنوني، ما قبل التاريخ...، مرجع سابق، ص 68.

<sup>(5)</sup> عبد القادر دحدوح، المرشد الأنيس إلى تاريخ وآثار عاصمة الونشريس، أبجديات للنشر والتوزيع والإشهار، الجزائر، 2012، ص 15-16.

كثفت فرنسا من إرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء، مع مطلع الخمسينات من القرن 19م، ظاهرها لخدمة المعرفة العلمية وباطنها التجسس، كي يتحقق لفرنسا ما كانت تحلم به وهو ربط مستعمراتها في وسط إفريقيا وغربها بمستعمراتها في الشمال الإفريقي<sup>(1)</sup>.

ومن أهم ما حققته البعثات الأثرية، عثورها على بقايا أثرية تعود للعصر الحجري القديم بـ "موقع شتمة" شرق بسكرة، والذي اكتشف صدفة أثناء سقاية الواحة، مما أدى إلى اكتشاف مستحثات حيوانية وحجارة مسقولة.

وكتب م. دالوني M.Dalloni<sup>(\*)</sup> بخصوص هذا الموضوع، بأن البقايا المكتشفة آشولية، وجديرة بالدراسة مثل بقية المواقع الأخرى كبحيرة كرامة، باليكو وأبو قير الواقعة شرق مدينة مستغانم<sup>(2)</sup>.

ونتائج الدراسة نشرها دالوني بمجلة سوسيو-جيو-أركيولوجي وهران، سنة 1940 (Bulletin de la sociologie/ Géologie et d'archéologie d'Oran, T : LXVI)<sup>(3)</sup>.  
لم تلقَ المعالم الإسلامية اهتماما من طرف الفرنسيين على عكس المعالم الرومانية، ما جعلها عرضة للإهمال والاندثار، فاستيفان قزال استقصى عن مدينة بوماريا الرومانية بتلمسان، التي لم يبق من آثارها سوى القليل، وتتبع كل ما قد يرد من أخبار عن هذه المستعمرة، وما يذكر بمجتمعها المسيحي آنذاك (شقف الفخار وما تحت مآذن المساجد من حجارة رومانية ونصوص أدبية قديمة وكتب رحالة) في 67 سطرا، أما مدينة

(1) شهاب سامية، الكتابات الاستشرافية الفرنسية عن طوارق الهقار، ع: 16، مجلة الآداب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان- الجزائر، ص 170-171.

\* Dalloni: أرخ الباحث دالوني مرحلة فيلا فرونشيان في الغرب الجزائري بثلاث طبقات لفقرات، وتُشمل الفقرات جميع الحيوانات الفقيرة: الأسماك والضفدعيات والزواحف والطيور والثدييات. وجدت بالغرب الجزائري في جبل بلحاصل بولاية غليزان في سنة 1940 وفي ولاية وهران (غومبيطة). للمزيد ينظر:

-Yves GOURINARD, *Recherches sur la géologie du Littoral Granais*, B: 6, service des carte géologique de l'Algérie, Algérie, 1958, p38.

Dar aladab, Lebanon, 2004, p1240 Arab, *Dictionnaire français* - Souhel Idriss, *Almanhal*,

2) Louis Leschi, *études d'épigraphie d'Archéologie Africaine*, Arts et métiers graphiques, France, 1957, p34.

(3) محمد الصغير غانم، مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم، دار الهدى للنشر، الجزائر، دت، ص 44، 42.

المنصورة الجاثية على أبواب تلمسان الغربية فخصها بـ03 سطور، ذكر فيها أداة حجرية تعود لما قبل التاريخ<sup>(1)</sup>.

عثر بموقع الأندلسيات<sup>(\*)</sup> بوهران على كتابة لاتينية ترجع إلى 250 سنة ق.م، ومقبرة بونية يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين 02- 03 ق.م، أثاثها الجنائزي محفوظ بمتحف وهران، كما تمّ اكتشاف لوحين من الفسيفساء وتيجان وأعمدة ومصابيح وكتابات لاتينية ورأس فتاة من الرخام<sup>(2)</sup>.

وتعود أول إشارة وردت حول المعالم الأثرية ببطيوة (وهران) إلى البكري، الذي تحدث عن مدينة رومانية قائلا: "مدينة أرزأوهي مدينة رومانية...يحار من دخل إليها لكثرة عجائها" كما جاء ذكر بعض معالمها الأثرية في كتابات رحلة شأو Shaw إثر زيارته للموقع الأثري ومعاينته لبعض البقايا الأثرية كالتيجان وبقايا الفسيفساء. وبدأ أول عمل بالموقع الأثري مع جورج سيمون George Simon في سنة 1894م، وتوقفت الأعمال التنقيبية به بسبب نزاع مع مالك الأرض المحيطة بالموقع، ليستمر التنقيب لاحقا في 1897م<sup>(3)</sup>.

ثم قامت مالفا موريس فانسان M.M. Vincent من سنة 1953م إلى سنة 1960م بتنقيب الموقع في مواسم مختلفة. ساهمت هذه التنقيبات في الكشف عن بعض المعالم الأثرية كالمباني العمومية ومنشآت الري والمنازل في حين بقيت بعض المعالم مجهولة بسبب توقف التنقيبات<sup>(4)</sup>.

## 2. البحث الأثري بعد الاستقلال:

في العشر سنوات الأولى من الاستقلال، واصل الباحثون الفرنسيون أبحاثهم الأثرية في الجزائر، كون الكفاءات العلمية الجزائرية في تلك الفترة لم تكن كافية للقيام بمثل هذه المهام، بالرغم من اهتمام الحكومة بها. ويظهر ذلك من خلال تسهيل عملية

(1) محمد البشير شنيقي، مرجع سابق، ص 27.

(\*) موقع الأندلسيات: يبعد الموقع الأثري عن مدينة وهران بما يقارب 35كم، ويقع بين خطي طول 0.8953° وخط عرض 35.7058°.

(2) رشيد بورويبة، وهران فن وثقافة.....، مرجع سابق، ص 20.

(3) محمد عبد المؤمن، "المعالم الأثرية ببطيوة"، ع: 6-7 / جوان- ديسمبر، مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، 2005، ص 268-269.

(4) نفسه، ص 268-269.

الحصول على التراخيص للقيام بالحفريات، وعليه أبقى الدولة على الباحثين الفرنسيين المشرفين على ورشات التنقيب بعد الاستقلال<sup>(1)</sup>.

يعود الفضل في بعض الدراسات الحديثة إلى الباحثين الجزائريين، لاهتمامهم بإعادة بعث التراث والكشف عنه، في مدة لم تتجاوز العقد من الزمن<sup>(2)</sup>.

ومن أهم الباحثين، نذكر: سيد أحمد باغلي<sup>(\*)</sup> ومنير بوشناق<sup>(\*)</sup> ورشيد بورويبة<sup>(\*)</sup>.  
عُدت البحوث المنجزة من طرف الباحثين ب. كدنا P.Cadenat (1968-1966)،  
وكذا الباحث م. ص. شملا M.C.Chamla في سنة 1970 م، وص. براهيمي C.Brahimi في  
1972 م، والباحث ج. كامبس G.Camps<sup>(\*)</sup> من 1974 إلى 1982 م، من أحسن البحوث

<sup>(1)</sup> فاضل لخضر، "النشاط الأثري بالجزائر عقب الاستقلال 1962-2004"، ع: 18-19، مجلة عصور، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، الجزائر، 2012، ص 201.  
<sup>(2)</sup> نفسه، ص 214.

<sup>(\*)</sup> سيد احمد باغلي (1936-2009): شغل الباحث عدة مهام منها، مساعد مدير الفنون الجميلة بوزارة الثقافة والاتصال، وعضوا بالإكروم ICCROM. من أبحاثه نذكر:  
-S.A. Baghli et P.A. Février, "recherches et travaux (1962-1965)", Bulletin d'archéologie Algérienne

<sup>(\*)</sup> منير بوشناق: شغل عدة وظائف ومهام، منها: مدير قطاع التراث الثقافي في اليونسكو (1990-2000)، مدير المركز الإقليمي العربي للتراث العالمي (1998-2000)، حيث أتى تعيينه كخطوة ضرورية لبناء شراكات جديدة مع المؤسسات الدولية العاملة في مجال التراث، كما كان مستشارا خاصا لكل من المدير العام لليونسكو والإيكوم، وله العديد من الأبحاث والمؤلفات المنشورة، أهمها: كتاب حول المدن القديمة في الجزائر، الصادر في سنة 1982، يُنظر:

- الموقع الإلكتروني: منظمة اليونسكو للتربية والعلوم والثقافة- المركز الإقليمي العربي للتراث العالمي.

[www.arcwh.org](http://www.arcwh.org)

رشيد بورويبة: لقد كان اهتمامه بالآثار الإسلامية كبيرا، نظرا لما نشره من بحوث مهمة جدا، منها: كتاب حول<sup>\*</sup>، إضافة إلى الحفريات التي أجراها art religieux musulman en Algérie لمدينة وهران فن وثقافة وكتاب بقلعة بني حماد وما أسفرت عنه من نتائج ساهمت في دراسة المواقع الأثرية الإسلامية في الجزائر، وذكّرت في مقالته الموسوم بـ:

- **Rapport préliminaire sur la campagne de fouille de septembre 1964 à la Quala de Beni Hammed, T:01, bulletin d'archéologie Algérienne .**

<sup>(\*)</sup> غابريال كامبس G. Camps: حصل على شهادة الليسانس في التاريخ والجغرافيا في سنة 1947 م، ومنذ 1949 م، تردد على مخبر ما قبل التاريخ التابع لمتحف البارود. له العديد من الكتب والمقالات المنشورة بالعديد من المجالات منها: ليبيا والمجلة الإفريقية، وفاق مجموع أبحاثه 300 بحث، كما له العديد من الدراسات حول

التي ساهمت في معرفة التتابع الطبقي بموقع كلمناطة الذي اعتبروه مستودعا غنيًا بالآثار. وبمنطقة بعين السرب، أُقيمت حفرة من طرف م. ج. دوماك M.J Domeck<sup>(1)</sup>.

قامت خضرة فاطمة F.Khadra بحفريات أثرية في جداريات جبل لخضر<sup>(\*)</sup>، ما بين سنتي 1968م-1970م، حيث تم رفع الأنقاض من الواجهة الشرقية (علما أن المعلم كان فاقدا لقسمه الهرمي) وكشفت الأعمال عن العديد من المرافق ومخططات البناء وتمت دراسة النقوش والزخارف الموجودة به، كما استخدم الكربون المشع C14 لتأريخ المكتشفات الأثرية، حيث سمح استعماله في الكشف عن تاريخ بناء الضريح المحدد بين القرن 05 و07 ميلادي، بينما بقيت الواجهات الأخرى تحت الركام<sup>(2)</sup>.

### خاتمة:

ساهمت البحوث الأثرية التي أُجريت في الجزائر إلى الكشف عن جزء من تاريخ الجزائر، وبمقارنة البحوث التي أُجريت قبل وبعد الاستقلال بعمالة الغرب الجزائري عامة، للاحظنا تراجعاً كبيراً في البحث الأثري بالرغم من التطور التكنولوجي في مجال علم الآثار. مع العلم أن الفرنسيين آنذاك لم يكونوا من ذوي الاختصاص ولم تكن لديهم الإمكانيات والوسائل المتاحة في يومنا هذا، ورغم ذلك أنجزوا بحثاً قيماً كالخريطة الأثرية لستيفان قزال.

المغرب وشمال المتوسط، من أهمها: حضارات ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا والصحراء لسنة 1974م، وكتيب: Manuel de recherches préhistoriques صدر سنة 1980م. توفي في 06 سبتمبر 2002م. للمزيد ينظر: -Marceau Gast, **Gabriel Camps(1927-2002)** N:10-11, édition électronique ouvert- revue.org, CNRS, France, 2002, p 02,04.

<sup>1</sup> (M. Leglay, **L'archéologie Algérienne en1954**, T:03, 1<sup>er</sup> semestre, Bulletin du service des antiquités archéologie-épigraphe, Algérie, 1955, p187.

<sup>(\*)</sup> جداريات جبل لخضر: يقع الضريح بضواحي مدغوسة التابعة لولاية تيارت.

(1) رايح لحسن، مرجع سابق، ص143. وينظر: رشيد محوز، مرجع سابق، ص 29